بَضَائِعُ الشَّيْطَانِ

لفضيلة الشيخ الداعية الكبير أبي بلال
محمد إلياس العطار القادري الرضوي
حفظه الله تعالى

مكتبة المدينة
للطباعة والنشر والتوزيع

بضائع الشيطان

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّد المرسلين، **أمّا بعد:**

فقد روي عن النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّه قال: «من صلّى عليّ صلاةً صلّى الله عليه عَشْراً وكتَب له عَشْرَ حسَنَات»[1].

صلّوا على الحبيب! صلّى الله تعالى على محمد

روي أنّ سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام لقي إبليسَ يسوِّق أربعةَ أَحْمِرَة عليها أحمالٌ، فسأله، فقال: أحْمِلُ تِجَارةً وأطْلُب مشترين، فقال: ما أحَدُها؟ قال: الْجَوْر. قال: من يشتريه؟ قال: السلاطين. قال: فمَا الثاني؟ قال: الْحَسَد. قال: فمن يشتريه؟ قال: العلماء. قال: فمَا الثالث؟ قال: الخيَانة. قال: فمن يشتريها؟ قال: التُّجَّار. قال: فما الرابع؟ قال: الكَيْد. قال: فمن يشتريه؟ قال: النِّسَاء[2].

---

[1] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الوتر، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم، ٢/٢٨، (٤٨٤).

[2] ذكره شهاب الدين (ت ٨٥٠هـ) في "المستطرف"، ٢/٤١٠، والعلامة الصفوري (ت ٨٩٤هـ) في "نزهة المجالس"، ٢/٥٣.

أيها المسلمون: الظُّلْم والكِبْر والحسَد والخيَانة والكَيْد من بَضَائع الشيطان، وأمّا الظلم فإنّه يبيعه للحُكَّام؛ لأنّ كلّ أحد منهم يَظْلِم رعيَّته ويجُوْر على الضُّعَفاء.

والمراد من قول إبليس: (أبيعه للسلاطين): أنّهم يظلمون كثيراً، وإلاّ فكُلُّ من يظلم الناسَ فهو مرتكب للكبائر ومستحقّ لدخول النار، فليَحْذَر من يتعدَّى على المسلمين، ويتسلَّط على الضعفاء، ويَغْصِبُ أموالهم، ويُؤْذيهم ويمزِّق أعراضَهم ويتسَبَّبُ في تخويف قلوب الآمنين وإنّه سيَخْسَر الدنيا والآخرة، فليتذكَّر هذا الحديث دائماً ويجعله بين عينيه في كلّ وقت، فقد قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «إنّ الله لَيُمْلي للظالم حتّى إذا أخَذه لَم يُفْلِتْه»[1]. وعن أسماء بنت عُمَيْس رضي الله تعالى عنها قالت: سمعتُ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يقول: «بئسَ العبدُ عبدٌ تخيَّل واختالَ، ونسِي الكبيرَ الْمُتَعالَ. بئس العبدُ عبدٌ تَجَبَّر واعتدَى ونسي الجبَّارَ الأعلى. بئس العبد عبدٌ سهَا ولَهَى ونَسِيَ الْمَقابرَ والبِلَى. بئس العبد عبدٌ عتّا وطغَى ونسي الْمُبْتَدَأَ والْمُنْتهَى. بئس العبد عبدٌ يَخْتِل الدنيا بالدِّين. بئس العبد عبدٌ يَخْتِل الدِّين بالشُّبُهات. بئس العبد عبدٌ طمَعٌ

---

[1] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب التفسير، باب قوله: وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد، ٣/٢٤٧، (٤٦٨٦).

يقُوْده. بئس العبد عبدٌ هَوًى يُضِلّه. بئس العبد عبدٌ رَغَبٌ يُذِلّه»[1]. وعن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «اِتَّقِ يا عليّ دعوةَ المظلوم، فإنّما يسأل اللهَ حقَّه، وإنّ الله تعالى لن يَمْنَعَ ذا حقٍّ حقَّه»[2].

أيها المسلمون: إنّ الله تعالى ينصُرُ المظلوم ويمدُّه بعَوْنه وعنايته، ويحفَظُه بلُطْفه وحِفْظه ورِعَايته، ويُثيْبه أجراً عظيماً لصبره على المصيبة، وأمّا الظالم فلا يَكْسِبُ إلاّ غضَبَ الله عزّ وجلّ، قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «عُرِضَتْ عليَّ النارُ فرأيتُ فيها امرأةً من بني إسرائيل تُعَذَّب في هِرَّة لها ربَطَتْها فلم تُطْعمها ولم تَدَعْها تأكُلُ من خَشَاش الأرض»[3].

ومن أخذ شِبْراً من أرض المسلمين بغير حقّ، أو غصبها فإنّه يكون من الظالمين، وعلى من هذا حالُه أن يتوب إلى الله تعالى ويؤدِّي الحقوق إلى أهلها، فقد قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «من أخَذ شِبْراً من الأرض بغير حقّه طوَّقه

---

[1] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، باب ما جاء في صفة أواني الحوض، ٤/٢٠٣، (٢٤٥٦).

[2] ذكره الخطيب البغدادي في "تاريخ بغداد"، ٩/٣٠٢، والسيوطي في "الجامع الصغير"، صـ١٤، (١١٩)، والأصفهاني في "حلية الأولياء"، ٣/٢٣٥، (٣٨١٥).

[3] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار، صـ٤٥٠، (٩٠٤).

الله في سَبْعِ أرضين يوم القيامة»[1]. فمن اللائق بالعاقل أن يحترز عن حقِّ الغير؛ لأنّ أكل حقّ الغير من الكبائر والمهلكات ومن ابتلي بحقّ من حقوق العباد فعليه بالاستحلال قبل الانتقال إلى دار السُّؤال، ويتوب إلى الله تعالى من جميع الذنوب، فمن كانت عنده مَظْلمَةٌ لأخيه فليتَحَلَّلْه منه اليوم من قبل أن لا يكون دينارٌ ولا درهمٌ، وإنّما هي الأعمال، فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر المظلمة، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيّئات صاحبه فحمل عليه، ومن اجتمعت عليه مظالمُ وقد تاب عنها وعسر عليه استحلالُ أرباب المظالم فليُكْثر من حسناته ليوم القِصَاص وليُكْثر من الاستغفار لمن ظلَمه، فعسَاه أن يقرِّبه ذلك إلى الله تعالى فيَنال به لُطْفَه الذي ادّخره لأرباب الإيمان في دَفْع مظالم العباد عنهم بإرضائه إيّاهم.

وجاء عن سيّدنا أبي بَكْر الوَرّاق رضي الله تعالى عنه أنّه قال: «أكثرُ ما ينزع من القلب الإيمانَ ظُلْمُ العباد»[2]. فمن سُلب إيمانُه بسبب التعدِّي على المسلمين فيخسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين ويُسَاق بعدها إلى نار الجحيم، وقد

---

[1] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب المساقاة والمزارعة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها، صـ٨٦٩، (١٦١٠).

[2] ذكره أبو الليث السمرقندي (ت ٣٧٣هـ) في "تنبيه الغافلين"، صـ٢٠٤.

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٦٩/٢٥-٣٢].

أيها المسلمون: فمن ابتلي بالجور والظلم لأحد من خَلْق الله تعالى ويريد التوبة والإنابة من هذا الظلم فإنّي أنصَحُه بقراءة الرسالة المسمَّاة بـ"عقاب الظلم" أو سماع بعض الأشرطة عن الظلم وعقابه، ففيها نفع عظيم لمن كان له قلب سليم وينبغي أن يسافر في سبيل الله مع قوافل الإخوة الدُّعَاة إلى الله تعالى، ويحاسب نفسه من خلال كتيب الجوائز المدنية.

أيها المسلمون: الخِيَانة بِضَاعةٌ من بَضَائع الشيطان يبيعُها للتُّجَّار، لأنّهم يتجرَّؤون على الخيانة، ولا يخشون لومةَ لائم، وينسون أنّها من عَلامات النِّفَاق، كما قال النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «أربعٌ من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خَصْلةٌ منهنّ كانت فيه خصلة من النفاق، حتّى يدَعَها: إذا اؤتُمِنَ خَانَ، وإذا حدَّث كذَب، وإذا عاهَد غدَر،

وإذا خاصَم فجَر»[1]. وضدُّ الخيانة الأمانة وهي تُطْلَق على معَان كثيرة: قال القُرْطُبي رحمه الله تعالى: الأمانة تعُمّ جميعَ وظائف الدِّيْن على الصحيح من الأقوال[2]. وقال سيّدنا الإمام محمد الغزالي رحمه الله تعالى: فالفَرْجُ أمانة، والأُذُنُ أمانة، والعين أمانة، واللِّسَان أمانة، والبَطْنُ أمانة، واليد والرِّجْل أمانة، ولا إيمانَ لمن لا أمانة له[3]. وعن سيّدنا عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «أوَّلُ ما خلَق الله عزّ وجلّ من الإنسان فَرْجه» ثم قال: «هذه أمانتي عندك، فلا تَضَعْها إلاّ في حقّها، فالفرج أمانة، والسَّمْع أمانة، والبَصَر أمانة، واللِّسَان أمانة»[4].

قال سيدنا الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى: باب الأمانة واسع، فأمانة اللسان أن لا يستعملَه في الكَذب والغيبة والنميمة والكفر والبدعة والفحش وغيرها، وأمانة العين أن لا يستعملها في النظَر إلى الحرام، وأمانة السَّمْع ألا يستعمله في

---

[1] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الإيمان، ١/٢٥، (٣٤).

[2] ذكره القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن"، الجزء الرابع عشر، ٧/١٨٧.

[3] ذكره الغزالي في "مكاشفة القلوب"، الباب الثالث عشر في الأمانة، صـ٤٣.

[4] ذكره ابن أبي الدنيا في "موسوعته"، كتاب مكارم الأخلاق، باب ما جاء في الأمانة، ٣/٤٨٢، (٢٧٦)، والديلمي في "فردوس الأخبار بمأثور الخطاب"، باب الألف، ١/٣٠، (٥).

سَمَاع الملاهي والمناهي، وسماع الْفُحْش والأكاذيب وغيرها وكذا القول في جميع الأعضاء[1]. فيجب على كلّ مسلم أن يؤدِّي الأمانة إذا اؤتمن، وأن لا يعرض نفسه لعذاب النار بسبب الخيانة، ونقل سيدنا الإمام محمد الغزالي رحمه الله تعالى: يُؤتَى بالعبد يوم القيامة فيُوْقَف بين يدَيِ الله تعالى فيقول الله تعالى: أَرَدَدْتَ أمانةَ فلان؟ فيقول: لا، يا ربِّ، فيأمُر الله تعالى ملَكاً فيأخُذ بيده وينطلق به إلى جهنّم ويُرِيه الأمانة بعَيْنه في قَعْر جهنّم فيَهْوِي فيها سبعين عامًا، حتّى ينتهي إلى قَعْرها ثم يصعَد بالأمانة فإذا بلغ أعلى جهنّم زلَّتْ قدمُه فيَهوي فيها كذلك، ثم يصعَد ثم يَهْبِط، وهكذا حتّى يُدْرِكه لُطْفُ ربِّه بشَفاعة المصطفى صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، فيَرْضى عنه صاحبُ الأمانة[2].

أيها المسلمون: فكما تَحْرُم الخيَانة في الأموال والحقوق فكذلك تحرُم في الأَعْراض والأسرار والْعُهُوْد، ويجب حفظ الأمانات وعدم إفشاء الأسرار وعدم كشف الأستار، وأمّا من يَنْكُث العُهود التي بينه وبين الْخَلْق فهو متَّصف بصفة خبيثة من صفات المنافقين.

---

[1] ذكره فخر الدين الرازي في "التفسير الكبير"، ٤/١٠٩.

[2] ذكره الغزالي في "مكاشفة القلوب"، الباب الثالث عشر في الأمانة، صـ٤٤.

وهكذا بعض الْحُكَّام والمسؤولين والْمُوظِّفين لا يقومون بواجباتهم على التمام والكمال، ويُضَيِّعُون الوقت المخصَّص للعمل بأمور أخرى، غير العملِ الذي يجب أداؤه فيه، وبعضُهم يشتغل في مصلحته الخاصّة، أو في مصلحة غيره، وقد لا يكون لها علاقة بالعمل، وبَعْضُهم يقصِّرون في تأدية الحقوق، ويتقاعسون عن العمل بواجباتهم، وما علموا أنّهم يقعون في الخيانة ويأكلون أموال الناس بالباطل، وإنّ الله سبحانه وتعالى سيُحاسبهم ويسألهم وأكثرُهم يُفضحون في الدنيا وليس لهم في الآخرة إلاّ النّارُ وبئس القرار، بل وللأسف الشديد ترى بعض الناس من الْمُدَراء وكبار الموظّفين لا يحاسبون صغارَ الموظّفين التابعين لهم على الكسل والإهمال في الْعَمَل، بل يعاون بعضُهم بعضاً على هذه الخيانة، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ**﴾ [المائدة: ٢/٥]. واعلموا أنّه ليس للأجير الخاص أن يعمَل لغيره، ولو عمل نقص من أُجْرته بقَدْر ما عمل[1]. وإذا استأجر رجلاً يوماً يعمَل كذا، فعليه أن يعمَل ذلك العَمَل إلى تمام الْمُدّة، ولا يشتغل بشيء آخَر سوى

[1] ذكره علاء الدين الحصكفي في "الدر المختار"، كتاب الإجارة، ٩/١١٨-١١٩.

المكتوبة والمسنونة ولا يُؤَدّي نفلاً[1]. ومن يتهاون أو يقصِّر في تَحمُّلِ المسؤولية والقيام بوظيفته ويتأخَّر عن أوقات الدوام، ويتوانى في القيام بعَمَله، ويضيع الوقت المخصَّص للعمل في أمور أخرى، ثم يأخُذ المرتب كاملاً، ولا ينقص من أجرته شيئاً فهو خائن وآخذٌ لمال السُّحْت والحرام، وقد روي: «إذا وقعت لقمة من الحرام في بَطْن ابن آدم لعنه كلّ مَلَك في الأرض والسماء ما دامت تلك اللقمةُ في بَطْنه، وإن مات على تلك الحالة فمأواه جهنَّم»[2]. وأمّا من أخذ الإذن للتأخير وغيره من الأمور فلا حَرَج عليه.

أيها المسلمون: وبعض الضُّبّاط والْمَسْؤولين يقدِّمون الوظيفة على الصلاة، ويقولون للمُوظِّفين: اُتْرُكوا الصلاة وأدّوا الوظيفة؛ لأنّ القيام بالوظيفة فرضٌ وهذه الكلمة خَطيرة جدّاً بل هي نَوْع من أنواعِ الكُفْر والعياذ بالله تعالى؛ لأنّ فيها إهانة الصلاة. وقد نقل: إذا قيل لرجل: صلِّ، فقال: أُصلّي وما تحصُل نتيجةٌ، أو قال: أنت صلَّيتَ فما الذي نتَج لك، أو قال: أُصلّي لمن؟ أُمّي وأبي ماتا. أو قال: الصلاة وعدَم الصلاة سواءٌ، أو قال: صلّيتُ حتّى مَلّ قلبي، فهذا كلّه كفر. ورجل يصلّي في

---

[1] ذكره ابن عابدين في "ردّ المحتار"، كتاب الإجارة، ١١٨/٩، ملتقطاً.

[2] ذكره الغزالي في "مكاشفة القلوب"، الباب الأول، في بيان الخوف، صـ١٠.

رمضان لا غير، ويقول: هذا كثيرٌ أو يقول: هذا زيادة؛ لأنّ كلَّ صلاة في رمضان تُساوي سبعين صلاةً يكفُرُ[1].

أيها المسلمون: وكثير من التُّجّار يقعون في الخيانة، ويكتسبون المال من غير مبالاة بالحلال والحرام، ولا يتعلّمون أحكام البيع والشراء، ثم يظُنّ كلّ واحد منهم أنّه يتورَّع عن كَسْب المال الحرام، ولكن كيف يتورَّع من يجهَل الأحكام الشرعية؟! وقد روي عن سيّدنا عمر رضي الله تعالى عنه أنّه كان يطُوْف في السُّوْق، ويضرب بعضَ التجّار بالدِّرَّة ويقول: «لا يبيع في سُوْقنا إلاّ من يفقَهُ»[2]. فينبغي على التاجر أن يتعلَّم أحكام الشَّرْع ويسافر في سبيل الله مع قوافل الإخوة الدعاة إلى الله تعالى لتعلّم الأحكام الشرعية، فكثير من الناس لا يعلمون شيئاً عن أحكام البيوع مع أنّها من أهمِّ الأمور التي يجب تعلّمها.

أيها المسلمون: الكيد بضاعة من بضائع الشيطان يبيعها للنِّسَاء، وليس المرادُ منه أنّ الرجال لا يَكيدُوْن، بل المراد منه: تقع النساء في الكَيْد أكثرَ من الرجال. والكَيد حرام، يُفضي إلى النار، فعن سيدنا أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «ملعون من ضارَّ مؤمناً

---

[1] "الفتاوى الهندية"، كتاب السير، باب في أحكام المرتدين، ٢/٢٦٨.

[2] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب آداب الكسب والمعاش، ٢/٨٣.

أو مكَر به»[1]. وعن سيدنا أبي صِرْمَة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «من ضارَّ أضَرَّ الله به ومن شاقَّ شقَّ الله عليه»[2]. وعن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «من غشَّنا فليس منّا والْمَكْر والخِدَاع في النار»[3]. وعن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «لا يدخُل الجنّة خبٌّ ولا بخيل ولا مَنّان»[4]. ونحن نرى في هذه الأيام أنّ الْجَوْر والكِبْر والحسَد والخيانة والكَيْد والخِدَاع ينتشر انتشاراً واسعاً بين الناس حتّى بين المسلمين وبين الْمُتدينين منهم وقد عمَّ الْمَنّ والأذَى لدَرَجة أنّ كثيراً من الناس يستكثرون الإحسان، ويفتخرون ويتحدّثون بما يعطونه، ويظهرونه، ويطْلُبُوْن العِوَض والْمُكافأة عليه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم، والقيام بالْحُقوق والتقديم في الْمَجالس والمتابعة في الأمور، فهذه كلّها ثَمَرات الْمَنَّة والأذى، وقد قال الله تبارك وتعالى في

---

[1] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الخيانة والغش، ٣٧٨/٣، (١٩٤٨).

[2] أخرجه ابن ماجه في "سننه"، كتاب الأحكام، ١٠٧/٣، (٢٣٤٢).

[3] أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير"، ١٣٨/١٠، (١٠٢٣٤).

[4] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب البر والصلة، ٣٨٨/٣، (١٩٧٠).

كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢/٢٦٤].

يقول الشيخ المفتي أحمد يارخان النعيمي رحمه الله تعالى: إن كان في إظهار الصدَقة فضيحةُ الفقير، فينبغي على الْمُتصدِّق أن يُخْفيَها، فإنّ الأذى أن يُظهِرها[1]. فمن يُريد دَفْع المال ونحوه إلى الْفُقراء أو طُلاّب العلم فيجب عليه أن يُعطيَه سرّاً، ولا يتحدَّث به، ولا يُظهِره.

أيها المسلمون: الخِدَاع من الآفات الرذيلة والعادات الشنيعة، وقد كان السَّلَف الصالح رحمهم الله تعالى يحترزون من الرذائل والسيّئات ويُطهِّرون قلوبَهم من الْمُهْلكات ويبالغون في التقوى والحذر من الشبهات، وقد جلس الشيخ أبو بكر الشبلي رضي الله تعالى عنه عند رجل يتعلّم منه النحو فقال: قُلْ: ضرَب زيدٌ عمرواً، فقال الشِّبْلي: أضرَبَه حقيقةً؟ قال: لا، وإنّما هو مثالٌ فقال: علمٌ أوّلُه كَذِبٌ لا أتعلَّمه[2]. وسببُ ذلك أنّه بلَغ كمالَ الإيمان والتقوى، وإلاّ يجوز ضَرْب هذه الأمثال في التعليم، وقد نُقل أنّ سيدنا الإمام البخاري رضي الله تعالى عنه

---

[1] ذكره أحمد يار خان النعيمي في "نور العرفان"، صـ٥٤.

[2] ذكره العلامة الصفوري في "نزهة المجالس"، فصل في زكاة الأعضاء، ١/١٩١.

خرَج يطلُب الحديث من رجل فرآه وقد هرَبت فرَسُه، وهو يُشير إليها برِدائه كأَنّ فيه شعير فجاءته فأخَذها، فقال: أكان معك شعير؟ قال: لا، ولكن أوهَمْتُها. فقال البخاري: لا آخُذ الحديث عمَّن يَكْذِبُ على البَهائم[1]. نسأل اللهَ عزّ وجلّ أن يرزُقنا فِعْل الخيرات وتركَ المنكرات من الكذب والغيبة والخيانة والخداع.

أيها المسلمون: الحسَد بِضاعة من بضائع الشَّيطان يبيعها للمُقرِئين. والحسَد: أن تَتمَنّى زَوال نعمة الْمَحسود إليك[2]. فمن الصِّفات الْمَذْمومة أن ترى فاضلاً فتشتَهي زوال نعمته إليك. وهو من أفعال الْحَمْقَى؛ لأنّه اعتراضٌ على قسمة الله تعالى.

والحسَد موجودٌ في جميع الطبَقات الإنسانية وخاصّةً في الْمُتَدَيِّنين الذين لا ينتبهون إلى مضرّات هذا الفعل الحرام، فيقعون فيه، فإنّك ترى هذا واضحاً فيما إذا تفوَّق أحدٌ على أقرانه فإنّ الكثيرَ منهم يتمَنّى زَوال هذه النِّعْمة عنه، ويطلُبُها لنفسه وقد فشَى هذا الأَمْر كثيراً بين الطُّلاّب والقُرَّاء، فالمتفوِّقُون يَرْغَبون بالدرَجة الأولى في الْمُسابقات، فإن نالها غيرُهم تَمَنّوا زَوالها عنه لنيل هذا الشَّرَف، فيقعون بسبب ذلك في مَعاصٍ أُخرى كالغيبة والبهتان وسُوْء الظنِّ بالمؤمنين والمسلمين، ولا

---

[1] ذكره العلامة الصفوري في "نزهة المجالس"، ١/١٩١.

[2] ذكره ابن منظور (ت ٧١١هـ) في "لسان العرب"، باب الحاء، ١/٨٢٦.

بُدَّ من تنبيه الإخوة المسلمين الذين يُشاركون في الاحتفالات والمسابقات من مُنْشدين وغيرهم إلى التَّحَرُّز من آفات الرياء والسُّمْعة، لأنّنا رأينا كثيرًا منهم يُسارِعون في الإنشاد والقراءة في الْحَفَلات الكبيرة، ويحزَنون إذا ما فاتَتْهم فُرْصةُ المشارَكة، وأمّا في الْحَفَلات الصغيرة فلا يحضر فيها إلاّ من وَفَّقه اللهُ تعالى، فعلى كلِّ واحد منهم أن يُفتِّش في نيته قبل حُضور هذه الْحَفَلات والْمُسابقات لئلاّ يقَع في الآفات والْمُهلِكات بَدَلاً من نَيْل الْحَسنات، وينبغي علينا أن نزيِّن أعمالنا بالصِّدْق والإخلاص، فعن سيدنا مُعاوية بن قُرَّة رضي الله تعالى عنه قال: «عمَلُ السِّرّ أفضل من الْعَلانية بسَبْعين»[1]. ومن المعلوم أنّ العمَل بدون إخلاص لا يجلب الخير لصاحبه في الدنيا ولا في الآخرة، بل يُوْقِعه في الْحَسرة والنَّدامة، وقد رُوي عن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّه قال: «الْمُرائي يُنادى به يومَ القيامة على رُؤوس الْخَلائق بأربعة أسماء: يا كافِر، يا فاجر، يا خائن، يا غادر، ضَلّ عمَلُك، وبطل أَجْرُك، فلا خَلاَقَ لك اليوم عند الله تعالى، فالتَمِسْ أَجْرَكَ ممَّن كنتَ تعمَلُ له يا مُخادعُ»[2].

---

[1] ذكره البخاري في "التاريخ الكبير"، الجزء الثاني عشر، ٣/٣٠، (٣٠٠٥).

[2] ذكره الديلمي في "فردوس الأخبار بمأثور الخطاب"، ٢/٣٥٦، (٦٩٠١).

وروي عن ضَمْرة بن حبيب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «إنّ الملائكة يرفَعُون أعمال العبد من عباد الله يستكثرونه ويُزَكّونه، حتّى يبلغُوا به إلى حيث شاء الله من سلطانه، فيُوحي الله إليهم أنّكم حَفَظَةٌ على عمَل عبدي، وأنا رقيب على ما في نفسه، إنّ عبدي هذا لم يخلص لي، ولم يخلص عملُه فَاجْعلُوه في سِجِّيْن»[1].

وروي عن عطاء بن أبي رَبَاح قال: حدَّثَتْني فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه: أنّها دخَلت عليه وهو في مُصلاّه تَسيل دُموعُه على لِحْيته، فقالت: يا أميرَ المؤمنين أَلشيء حدث؟ قال: يا فاطمة إنّي تَقَلّدتُ من أَمْر أُمّة محمد صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم أسوَدَها وأحمَرها، فتفَكّرتُ في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعاري الْمَجْهود والمظلوم المقهور، والغريب الأسير، والشيخ الكبير، وذي العيال الكثير والمال القليل، وأَشباهُهم في أَقْطار الأرض وأطراف البلاد، فعلمتُ أنّ ربّي سائلي عنهم يوم القيامة، فخشيتُ ألا تثْبُت لي حُجّةٌ فبكيتُ[2].

---

[1] ذكره ابن مبارك في "كتاب الزهد والرقائق"، صـ١٥٣، (٤٥٢)، وابن أبي الدنيا في "موسوعة"، كتاب الإخلاص والنية، ١/١٧٦، (١٨).

[2] "تاريخ الخلفاء"، صـ٢٣٦، و"تاريخ مدينة دمشق"، ٤٥/١٩٧.

أيها المسلمون: ولا بُدّ هُنا من التنبيه إلى الفَرْق بين الْحَسَد والغِبْطة، فالحسد هو تمنّي زوال النعمة عن المحسود، وأَمّا الغِبْطة فهي أن يرغَب الرجل في نَيْل النِّعمة التي توجَد عند الآخَر بدون تمنّي زَوالِها عنه، فمِثْل هذا لا يقال له: حاسد.

وقد نقل الإمام النووي رحمه الله تعالى: الْحَسود لم يَرْضَ بقسمة الله تعالى ومن لم يرض بالقسمة فقد عارَض الله تعالى في قسمته وحكمته[1]. وروي عن سيّدنا أنس رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «الحسَد يأكُل الْحَسَنات، كما تأكُل النار الْحَطَبَ»[2].

يا من عمره كُلّما زاد نقص، يا من يأمن مَكر الله وبَغْتَةَ الْمَوت، يا من يطلُب الْحُكْم والسُّلْطة وما تَهوَى النفس، يا مائلاً إلى الدنيا هل سلِمْتَ من النَّقْص؟ اعلم أنّ الموت أفظَع الأَهْوال وهو أشَدُّ من نَشْرِ الْمَنَاشير وقَرْضِ الْمَقَاريض وغَلْي في الْقُدور، وألفُ ضَرْبة بالسَّيْف أَهْونُ من موت على فِراش، فيجب على المسلم أن يتوب إلى الله تعالى، ويستعدّ للموت بتَرْك المعصية، والرَّكْض وراء الدنيا وجمع حُطامها من مال وغيره، ولا يطمع

---

[1] ذكره النووي في "شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية"، صـ٥٠.

[2] أخرجه ابن ماجه في "سننه"، كتاب الزهد، باب الحسد، ٤/٤٧٣، (٤٢١٠).

في حبّ الله مع حبّ المال والشرف، فقد قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «ما ذِئْبان جائعان أُرْسِلاَ في غنَمٍ أفسَد لها من حرص الْمَرء على المال والشَّرَف لدينه»[1].

وقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «ستّةٌ يدخلون النار بغير حساب: الأُمَراء بالْجَوْر، والعَرَب بالعَصَبيّة، والدَّهاقين بالكِبْر، والتُّجّار بالكذب، والعلماء بالحسد، والأغنياء بالبُخْل»[2].

وعن عبد الله بن بُسْر رضي الله تعالى عنه عن النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «ليس منّي ذو حسَد ولا نميمة ولا كهانَة ولا أنا منه»[3].

أيها المسلمون: الذهاب إلى الكهان وسؤالهم وتصديقهم خطرٌ عظيم وعرض النفسِ للشرّ والتهلكة؛ لأنّ الكاهن: الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدّعي معرفة الأسرار مُعْتمداً في ذلك على الجنّ، وقد ثبت في القرآن الكريم أنّ أولئك الجنّ لا يعلمون الغيب، فمن استغاث بهم أو سألهم عن شيء من ذلك فعليه أن يتوب إلى الله تعالى.

---

[1] أخرجه أحمد بن حنبل في "مسنده"، ٥/٣٥٠، (١٥٧٨٤).

[2] "اتحاف السادة المتقين"، كتاب ذم الغضب والحقد والحسد، ٩/٤٨٦.

[3] "مجمع الزوائد"، ٨/١٧٢، (١٣١٢٦)، و"تاريخ دمشق"، ٢١/٣٣٤، (٤٨٠٥).

أيها المسلمون: ولا بُدّ من التنبيه هنا إلى أنّ بعض السذج من الناس يغترون بالكهان الذين يسلط عليهم الجنّ خاصةً أنّهم يظهرون بمظهر عباد الله الصالحين، ويحدِّثون بأشياء تصدق أحياناً ويأمُرون بالمعروف، وينهون عن المنكَر ولكن اعلموا أنّهم لا يقصدون بذلك إلاّ الضلال المبين، يقول الإمام أحمد رضا خان رحمه الله تعالى: الجنّ لا يعلمون الغيب، فمن سألهم عن أُمور الغيب فهو أحمق، ومرتكب للكبائر، وإن اعتقد لهم علم الغيب وصدَّقهم بما يقولون فقد كفر[1]. قال الشيخ مُحيي الدين ابن العربي رحمه الله تعالى: فإنّ الجانّ بالطبع يؤَثِّرون في جَليسهم التكبُّر على الناس وعلى كلّ عبد لله[2]. والتكبّر من عادات الْحَمْقى؛ لأنّ الْمُتكبِّر يظُنّ أنّ التكبُّر يرفَعُه ويجعَله بين الناس عزيزاً كريماً، ولكن هذا الفَهْم الخاطئ يُوْقعه في قَعْر الجحيم كما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «من تواضع لله درَجة، رفَعه الله درَجةً، حتّى يجعَله في عِلِّيِّيْن، ومن تكبَّر على الله درَجة وضَعه اللهُ درَجة حتّى يجْعَله في أسفَل السافلين»[3].

---

[1] ذكره أحمد رضا خان البريلوي في "الفتاوى الأفريقية"، صـ١٧٨.

[2] ذكره محيي الدين العربي (ت ٦٣٨هـ) في "الفتوحات المكية"، ١/٦١٧.

[3] أخرجه أحمد بن حنبل في "مسنده"، ٤/١٥٢، (١١٧٢٤).

أيها المسلمون: الحسَدُ حرام، ومُعالَجتُه فرضٌ على كلّ مكَلَّف، فلو قال قائل: لقد ابتليتُ بالحسد فكيف أزيله من قلبي؟ فنقول: أن يتذكّر الأمور التي تعين على تَرْك هذا الفعل القبيح:

[١]: أن تدعو الله عزّ وجلّ بأن يقيك من هذا الحسد.

[٢]: أن تعرف أنّ الحسد يضرّك في الدين والدنيا، ولا يضرّ محسودَك فيهما، بل ينتفع به فيهما.

[٣]: أن تخوّف نفسك من سخط الله ورسوله الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم، وأن تعلم أنّ من سلب إيمانه بسبب الحسد فمصيره إلى النار.

[٤]: أن تذكر الموت هاذم اللذّات، لما روي عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: من أَكْثَر ذكرَ الموت قَلّ فَرَحُه وقَلَّ حَسَدُه[١].

[٥]: أن لا تفكّر في من هو أعلى منك طبقةً أو منزلةً أو مكانةً؛ لأن ذلك يُولِّد الْحَسَد، وضَعْ نُصْب عَيْنَيْك هذا الحديث: «اُنْظُرُوْا إلى مَنْ هو أسفَلُ منكم، ولا تنظُرُوْا إلى من هو فوقَكُم، فإنّه أَجدَرُ أن لا تَزْدَرُوْا نعمةَ الله»[٢].

---

[١] ذكره ابن أبي شيبة في "مصنفه"، ١٦٧/٨، وأبو نعيم في "الحلية"، ٢٨١/١.

[٢] أخرجه ابن ماجه في "سننه"، كتاب الزهد، باب القناعة، ٤٤٣/٤، (٤١٤٢).

[٦]: أن تحبّ المحسود ولا تبغضه.

[٧]: أن تبدأ بإلقاء السلام مع بشَاشة الوجه ولين الجانب.

[٨]: أن تقدّم الهدايا إلى المحسود.

[٩]: أن تدعو بالبركة في النعمة المحسودة.

[١٠]: أن لا تتكلّم على المحسود ولا تسمع الكلام عليه.

[١١]: أن تقوم بالتعزية عند حُلول المصائب.

[١٢]: أن تلتزم بالتهنئة عند ظهور الفضل والنعمة على المحسود.

[١٣]: وأن تنصره عند الحاجة.

[١٤]: أن تكلّف اللسان المدح والثناء على المحسود.

[١٥]: وأن تسعى في حصول الخير له مهما أمكن.

يقول سيدنا الإمام محمد الغزالي رحمه الله تعالى: فأمّا إذا كفَفْتَ ظاهرك وألزَمْتَ مع ذلك قلبَك كراهةَ ما يترَشَّح منه بالطبع، من حبّ زوال النعمة، حتّى كأنّك تمقت نفسك على ما في طبعها، فتكون تلك الكراهة من جهة العقل، في مقابلة الميل من جهة الطبع، فقد أدَّيت الواجب عليك، ولا يدخل تحت اختيارك في أغلب الأحوال أكثر من هذا[1].

---

[1] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذم الغضب والحقد والحسد، بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب، ٣/٢٤٦.

أيها المسلمون: ومن يريد التوسع، فعليه أن يقرأ الكتب والرسائل للإمام الغزالي، ولترسيخ هذه النصائح يسافر في سبيل الله، ويحاسب نفسه من خلال كتيب "الجوائز المدنية"، ويستحضر دائماً أنّ الموت لا بدّ أن يدركنا ولو كنّا في بُرُوج مشيَّدة، ويخرجنا من الغُرف الواسعة إلى حفر مُظْلمة ومن فوق الأرض إلى تحت الأرض، ويتفكّر في الآخرة، ويهرع إلى باب الله تعالى تائباً منيباً، ويترك الذنوب والمعاصي خاشعاً مطيعاً، وقد قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «التائب من الذنب كمن لا ذنبَ له»[1].

أيها المسلمون: توبوا إلى الله تعالى، وأدّوا حقوق الآخرين، واسعوا في إصلاح ذات بينكم، فإنّ من يُكثر التعامل مع الناس يُخاف عليه تضييع الحقوق، وإنّي أغتنم هذه الفرصة وأستسمح من جميع المسلمين الذين يسمعونني، فسامحوني عن كلّ تقصيرٍ بدر مني في حقّكم، ومن أخذتُ له مالاً فليأخذه منّي، أو يسامحني، وأنا سامحتُ كلّ من قصّر في حقّي، أو آذاني، أو يؤذيني في المستقبل حتّى إن قتلني أحد فإنّي أسامحه فلا يجوز لأحد أن يؤذيه أو يؤذي الآخرين فيضيِّع أموالهم وأملاكهم.

---

[1] أخرجه ابن ماجه في "سننه"، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، ٤/٤٩١، (٤٢٥٠)، والطبراني في "المعجم الكبير"، عبد الله بن مسعود، ١٠/١٥٠، (١٠٢٨١).

أيها المسلمون: وأقيموا الصلاة، وصُوْموا شهر رمضان المبارك واعزموا النية على أن لا تتركوا العبادات المكتوبة، وإن وجب عليكم الحجّ فلا تتأخّروا عنه، واقضوا ما فاتكم من الصلاة والصيام، وقد جاء عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّه قال: «من ترك صلاة متعمِّداً كتب اسمه على باب النار فيمن يدخلها»[1]. وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «من أفطَر يوماً من رمضانَ من غير رخصة ولا مرَضٍ لم يَقْضِ عنه صومُ الدَّهْر كلِّه وإن صامَه»[2].

أيها المسلمون: وتوبوا إلى الله تعالى من جميع الذنوب كالغناء والنظر إلى الحرام ونحوهما، وقد روي: «من ملأ عينه من الحرام ملأ الله تعالى يوم القيامة عينه من النار»[3].

وروي عن النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّه خرج على الصحابة بعد صلاة الفجر، وذكر لهم رؤياه وفيها: «فإذا نحن برجال ونساء مُسَمَّرَة أَعْيُنُهم وآذانُهم، فقلتُ: ما هؤلاء؟ قال الملك: هؤلاء الذين يُرُون أَعْيُنَهم ما لا يَرَوْن، ويُسْمِعون

---

[1] ذكره أبو نعيم في "حلية الأولياء"، مسعر بن كدام، ٢٩٩/٧، (١٠٥٩٠).

[2] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الصوم، ١٧٥/٢، (٧٢٣).

[3] ذكره الغزالي في "مكاشفة القلوب"، الباب الأول في بيان الخوف، صـ١٠.

آذَانَهم ما لا يَسْمَعُون»[1]. وأوصيكم أيها المسلمون بترك تقليد الغَرْب والكفّار، وبمخالفتهم في الأعمال والعادات، وإيّاكم وحلق اللِّحَى، وقد روي عن سيدنا ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «خالفوا المشركين، وفِّروا اللّحَى، وأَحْفُوا الشَّوَارب»[2].

وقد عدّ النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم حَلْق اللّحى من التشبّه بأعداء الإسلام، وقد شاع في زمننا كلمة المقاطعة الاجتماعية في الْمُنْتَجات والمصنوعات لأعداء الإسلام، فينبغي علينا أن نقاطعهم أيضاً في التقاليد والعادات السيئة، ونلتزم في جميع شُعَب الحياة، ونتقيّد بالزِّيّ الإسلامي، ونترك كلّ ما يغضب الله ورسوله ويُوصل إلى المهلكات العظيمة وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لما عُرِجَ بي مَرَرْتُ برجال تقطع جُلُودُهم بمَقَاريضَ من نار فقلتُ: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يتزَيَّنون إلى ما لا يحلّ لهم، قال: ثم مررتُ بجُبّ مُنْتنِ الريح فسمعتُ فيه أصواتاً شديدةً فقلتُ: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: نساء كنَّ يتزَيَّنَّ للزِّينة ويفعَلْنَ ما لا يحلّ لهنّ»[3].

---

[1] أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير"، ١٥٦/٨، (٧٦٦٦).

[2] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب اللباس، باب تقليم الأظفار، ٧٥/٤، (٥٨٩٢).

[3] "شعب الإيمان"، ٣٠٩/٥، (٦٧٥٠)، و"تاريخ مدينة دمشق"، ٢١٦/٥١.

اللهم احفظنا من كلّ بلاء في الدنيا وعذاب في الآخرة، وجنِّبنا مكائد الشيطان والظلم والخيانة والكيد والحسد وغيرها من الآفات برحمتك يا أرحم الراحمين.